



جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع



المرحلة الاستكشافية : القراءات
L'exploration

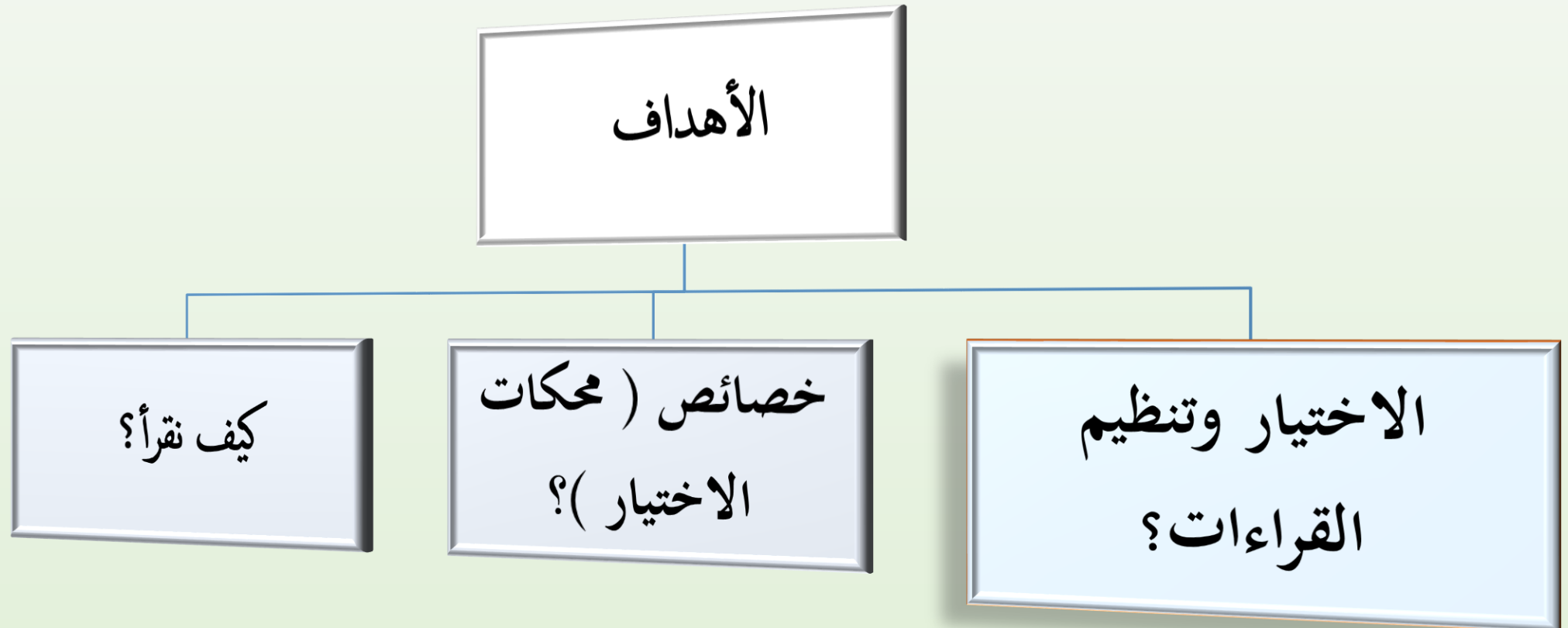
أ.د. إبراهيم بوالفلفل

المقدمة

- في إطار المحاضرة الماضية قمنا بالتدرب على كيفية تشكيل مشروع بحث في صورة سؤال انطلاقاً، وهذا السؤال إلى غاية مرحلة معينة سيبقى الخط الموجه لمواصلة مشروع البحث.
- والمشكل المطروح الآن هو كيفية الوصول إلى معلومات ذات نوعية، كيف نستغل الميدان من أجل تكوين تصور أو نظرة حول إشكالية البحث الذي نحن بصددده، هذا هو هدف هذه المحاضرة.
- فالاستكشاف يتضمن عمليات القراءة، المقابلات الاستكشافية، وبعض طرق الاستغلال المكتملة.
- فعملية القراءة تعمل خاصة على ضمان نوعية الأسئلة في حين أن المقابلات تساعد الباحث في الوصول إلى ملامسة الواقع المعاش من طرف الفاعلين الاجتماعيين.
- سندرس هنا طرق عمل محددة، موجهة للتطبيق مباشرة من طرف الباحث،
- هذه الطرق تم بناءها من أجل مساعدة الباحث على التناول العميق لموضوع دراسته، وبالتالي الحصول على أفكار ومسالك تفكير مفيدة.

الأهداف

بعد الانتهاء من المحاضرة نتوقع أن يضيف الطالب (ة) إلى رصيده (أ) جملة من المعارف تمكنه (أ) من الإجابة عن الأسئلة التالية :



المحاور

1-1- الاختيار وتنظيم القراءات

أ- خصائص (محكات الاختيار)

ب- أين نجد هذه النصوص

1-2- كيف نقرأ

أ- شبكة القراءة

ب- الملخص

1-القراءة :

- إن ما هو صحيح بالنسبة لعلم الاجتماع صحيح كذلك بالنسبة لكل عمل ذو طابع علمي، وهو تجاوز التفسيرات الموجودة من قبل، أو المبنية، والتي تساهم في إعادة بناء ما هو كائن. وذلك من أجل إظهار معاني جديدة للظواهر المدروسة لتصبح أكثر تدخلا من سابقتها، وهذا ما سنركز عليه هنا.
- وهذا التجاوز لا يأتي هكذا وإنما ينبع من التكوين النظري للباحث وثقافته العلمية كل في الاختصاص الذي يعمل به (اقتصادي، سوسيولوجي، سياسي ... إلخ) وهذا ما يسمح لنا بتوسيع حقل أفكارنا وتجاوز التفسيرات السابقة، وإعطاء أسئلة جيدة،
- فالباحث في علم الاجتماع لا يمكنه الاتجاه مباشرة إلى الميدان دون أن تكون لديه القدرة على التفكير أولا واستغلال النظريات الموجودة في الحقل المعرفي الذي ينتهي إليه،

1-1 اختيار وتنظيم القراءات :

أ- خصائص (محكات) الاختيار : إن اختيار القراءات يجب أن يتم بعناية، فمهما كان نوع البحث فإن الباحث مرتبط بمدة زمنية محددة. هناك من يمضي عشرات الساعات في القراءات، وهناك من يقضي مئات الساعات في ذلك، ولكن يبقى بالنسبة لهؤلاء وأولئك أن هذا الزمن قصير جداً بالنظر إلى طموحاتهم، ولا شيء أكثر إحباطاً بالنسبة لهم من اكتشافهم بعد أسابيع من القراءة بأنهم لم يتقدموا خطوة إلى الأمام. فهدفنا إذاً هو الوقوف على المعلومات والمعارف التي تخص سؤال الانطلاق باستغلالنا الأقصى لكل دقيقة قراءة.

كيف نعمل ؟ وأي محك نأخذ به ؟

سنعرض هنا لمحكات عامة يمكن لكل باحث تكييفها مع مشروع بحثه بمرونة. وهي باختصار:

✓ العلاقة مع سؤال الانطلاق.

✓ بعد عقلائي لبرنامج القراءة.

✓ عناصر التحليل والتفسير.

✓ مقاربات متنوعة.

✓ فترات زمنية مخصصة للتفكير الشخصي وتبادل وجهات النظر.

- قبل التوجه إلى المكتبات لابد أن نعرف ماذا نبحث. إن ما نحتاجه من كتب لا نجده بالصدفة وبمنظرة واحدة في المكتبة، فلابد من منهج عمل، فأول شيء هو تحديد نوع النصوص التي نبحث عنها. طبعاً لن نتطرق إلى البحث البيبليوغرافي ولكن سنكتفي هنا بعرض بعض الأفكار والتي يمكننا وتساعدنا في الحصول على النصوص التي نبحث عنها بطريقة سهلة ودون خسارة الكثير من الجهد والوقت.
- أطلب النصيحة من المختصين الذين هم على اطلاع جيد على مجال بحثك، فهم باحثون، أساتذة، مسؤولوا مؤسسات ... إلخ،
- الاطلاع على مقالات المجلات، المقابلات مع المختصين المنشورة في الجرائد للجمهور المتعلم العريض، نشرات المنظمات المختصة والتقارير العلمية والتي يمكن أن تحمل عناصر تفكير مهمة.

■ إن المجالات المختصة في ميدان بحثك ذات أهمية قصوى لسببين :

1. لأن محتواها يحمل إما المعارف الأكثر جدة وحادثة في الموضوع، أو نظرة نقدية حول المعارف المكتسبة من قبل.

2. لأنها تحتوي على ببليوغرافيا مكونة من كتب جديدة من خلالها يمكن أن نقوم باختيار قراءة جيدة وفعالة.

➡ بتفحص للببليوغرافيا والكتب والمقالات التي نحصل عليها فإننا نكون نظرة عن مجمل المؤلفات التي تمس موضوعنا، ويمكن القول أننا أحطنا بالمشكل عندما نصادف مراجع نعرفها من قبل.

1-2 - كيف نقرأ :

- إن الهدف الأساسي من القراءة هو الحصول على أفكار من أجل بحثنا الخاص،
- هذا يتطلب من القارئ القدرة على إظهار هذه الأفكار وفهم مغزاها العميق وكيفية ترابطها وتماسكها فيما بينها.
- هذا العمل لا يطرح أي مشكل بالنسبة لأصحاب الخبرة، لكنه يسبب مشاكل أساسية لأولئك الذين ليس لهم تكوين نظري جيد، وليسوا متعودين على مصطلحات العلوم الاجتماعية (jargon).
- إن قراءة نص شيء وفهمه شيئاً آخر تماماً. فالفهم ليس معطى ولكن يتطلب الخبرة والتمرين، ولكي يكون التعلم مفيداً ونافعاً فلا بد من دعمه بمنهج أو طريقة قراءة.
- فالكثير منا يقرأ عشوائياً والنتيجة دائماً الإحباط والإحساس بالعجز.
- ولتطوير طريقة القراءة والاستفادة منها قدر المكان فلا بد من إتباع طريقة أو منهج قراءة محدد وصارم من البداية، وكل واحد يستطيع إضفاء بعض المرونة عليه مع الوقت وحسب ما يتطلبه العمل في حد ذاته.
- هذه الطريقة تتكون من مرحلتين متلاحمتين تتمثل في وضع شبكة قراءة (لكي نقرأ بعمق وبطريقة منظمة)، وكتابة ملخص (لكي نوضح الأفكار الأساسية التي تتطلب الحفاظ عليها).

أ- شبكة القراءة :

- قسم الورقة إلى قسمين ثلثان يميناً وثلث يساراً.
- 1- عنون العمود الأيمن "أفكار - محتوى" والعمود الأيسر "معالم بناء النص".
- 2- قم بقراءة النص فقرة بعد أخرى، والفقرة هي مجموعة من الجمل تشكل كلاً متجانساً، بعد كل فقرة أكتب في الجانب الأيمن من الصفحة الفكرة الأساسية من النص الأصلي ورقمها حسب رقم الفقرة التي وصلت إليها بالقراءة.

- عند الانتهاء من هذا العمل تكون قد تحصلت في الجانب الأيمن على الأفكار الأساسية للنص الأصلي، أعد قراءتها بطريقة تمكنك من التحكم في مفاهيم النص واكتشاف البنية الاجمالية لتفكير الكاتب و أفكاره الرئيسية و مراحل تفكيره والترابط والتماسك بين أجزاء النص. هذه هي المفاصل أو الأفكار الرئيسية التي يجب أن تظهر في الجانب الأيسر من الورقة "معالم بناء النص" عن طريق التمعن في الأفكار الملخصة في الجانب الأيمن.

الملخص:

- إن التحكم في عملية التلخيص ليس بأمر موروث وإنما هو مكتسب عن طريق التعلم والخبرة، ويمكن تعزيز هذا التعلم عن طريق مساعدة من طرف خبراء ونصائح ملائمة، إن نوعية الملخص مرتبطة بنوعية القراءة الذي سبقته، كما أن طريقة التلخيص هي التتمة المنطقية لطريقة القراءة.
- نعود الآن إلى سلم قراءتنا ونعيد قراءة محتوى الجانب الأيمن من الورقة والذي يحتوي على الأفكار الأساسية. وهذه الأفكار تمثل ملخصا وافيا للنص ولأفكار الكاتب. ولكن ينقصها توضيح وتحديد الأفكار المحورية والمركزية للنص.

- غالبا ما لا تظهر هذه الأفكار المفصلية بوضوح، فعلينا إذا بناء الأفكار التي تمكننا من إعادة بناء فكر الكاتب والتأكد من مدى تجانس وسلامة منطقته.
- إن الهدف من هذا العمل هو التوضيح بدقة لتماسك هذه الوحدة بإلقاء الضوء على الأفكار الأكثر أهمية، و تبين الروابط الأساسية التي ربط بواسطتها الكاتب بين هذه الأفكار.
- وللوصول إلى تحقيق هذا الهدف، علينا الأخذ بعين الاعتبار محتوى الجانب الأيسر من الورقة أين وضحنا من قبل المعلومات المتعلقة بأهمية هذه الأفكار.
- في الأخير تبقى كتابة الملخص بطريقة واضحة يمكن من خلالها لمن لم يقرأ النص الأصلي أن يفهم ما جاء فيه باللجوء إلى نتائج هذا العمل.

وللوصول إلى تحقيق هذا الهدف, فعلينا الأخذ بعين الاعتبار محتوى الجانب الأيسر من الورقة أين
وضحنا من قبل المعلومات المتعلقة بأهمية وأساسية هذه الأفكار.

من خلال هذه المؤشرات يمكننا التفريق بين فقرات النص مباشرة أين توجد الأفكار المركزية من تلك
التي تحتوي على الأفكار الثانوية أو المعطيات الموضحة, أو سرد البراهين,
بالإضافة إلى أن هذه الأفكار يمكن إيجادها بسهولة بمساعدة محتوى العمود الأيمن للورقة أين تم
وصفها جيداً.

في الأخير يبقى كتابة الملخص بطريقة واضحة يمكن من خلالها لمن لم يقرأ النص الأصلي أن يفهم ما
جاء فيه باللجوء إلى نتائج هذا العمل.

إن الذي يقوم بهذا العمل بكل مراحله سوف يحسن ويطور قدراته على القراءة والفهم للنصوص وكتابة الملخصات والذي يعتبر نافعا لأي عمل علمي.

كما يمكنه من التحكم الجيد في أفكار النص وإمكانية المقارنة بين النصوص المختلفة. فما كان يبدو عملا صعب التحقيق سيصبح عملا جديا وصعبا، لكنه ممكن التحقيق.

طبعاً إن هذا النموذج محدد وقاسي نوعاً ما، ولابد من تخصيص وقت كاف كذلك، ولهذا فلا بد ألا تكون النصوص طويلة وكثيرة، وبالتالي يمكن تصور سلم قراءة أكثر مرونة وأكثر تأقلماً مع كل مشروع بحث على حدى.

كما يجب ألا نقع في فخ الاقتصاد في الوقت، فقراءة سيئة لألفي صفحة لن تفيدك في شيء فمن الأفضل قراءة نص من 10 صفحات بطريقة جيدة، فهذه الطريقة تؤدي إلى انطلاق حقيقي في عمل عملي أو بحث. كما يجب عدم الانخداع بالببليوغرافيا الغير منتهية في نهاية بعض الكتب.

تطبيق

مقارنة النصوص

عند الانتهاء من ملخصات النصين أو الثلاث المختارة فإنه من الضروري المقارنة بينهم بأناة بغرض استخراج عناصر التفكير ومسالك العمل الأكثر أهمية ونفعا للوصول بهذا العمل إلى الهدف المنشود. يمكنك تقسيم عملك على مرحلتين. قارن بين النصوص المختلفة ثم بعدها استخلص المسالك التي تعينك على متابعة البحث.

1- مقارنة النصوص :

يتعلق الأمر بمواجهة النصوص حسب محكين أساسيين مقسمين كلاهما إلى ثلاثة محكات فرعية :

المحك الأول : وجهات النظر المتبناة.

كما رأينا من قبل فإن الظواهر الاجتماعية قد ينظر إليها من وجهات نظر مختلفة، على سبيل المثال مشكل البطالة قد يكون موضوع مقارنة تاريخية، أو ماكرو اقتصادية أو سوسيولوجية، ونفس الأمر في إطار نفس التخصص قد تكون هناك مقاربات مختلفة، فعالم الاجتماع قد يتناول بالدراسة مكانة البطال في المجتمع، أو علاقات السلطة حول رهان التشغيل خاصة.

فما هي إذن وجهات النظر المتبناة من طرف الكتاب، وكيف تتموقع الواحدة اتجاه الأخرى ؟

المحكات الفرعية :

لمقارنة وجهات النظر بترتيب ووضوح قم بالتالي :

أ- بين أوجه التشابه بينها.

ب- بين أوجه الاختلاف بينها.

ج- وضح التكامل بينها.

المحك الثاني : المحتويات

سواء تبنون وجهات نظر قابلة للمقارنة أو لا فالكتاب يمكنهم الدفاع عن أطروحات قابلة للتوفيق بينها أو لا، بالإضافة إلى أنهم قد ينتقدون بعضهم البعض علانية.

محكات فرعية :

لمقارنة المحتويات بترتيب ووضوح لابد من تبين :

أ- الاتفاق الظاهر بينهم (إن وجد)

ب- الاختلاف الظاهر بينهم (إن وجد)

ج- التكمالات

2- توضيح المسالك من أجل متابعة البحث:

يتعلق الأمر هنا بالإجابة عن السؤالين الآتي :

- ما هي القراءات الأكثر ارتباطا بسؤال الانطلاقة ؟

- ما هي المسالك المقترحة من طرف هذه القراءات ؟

الهدف هنا هو الاختيار بأكبر عناية ممكنة نصوص المرحلة الثانية من القراءات، ويمكنك أيضا أخذ قرار مثلا بالبحث عن نصوص جديدة من أجل التعمق في وجهة نظر تهمك، أو معالجة بعمق لمشكل كان موضع خلاف ظاهر، أو تناول موضوع بحثك من زاوية مختلفة تماما لم تنل حظها من البحث في المرحلة الأولى من القراءات.

في نهاية هذه التمارين من الأفضل توقيف مؤقتا قراءة النصوص، وإعطاء نفسك وقتا للتفكير.

- ان القراءة ليست مجرد عملية لجمع المعلومات، بل هي أداة أساسية لفهم الإشكالية البحثية وتحديد الثغرات المعرفية في المجال المدروس.
- القراءة الموجهة والمنهجية تتيح للباحث بناء قاعدة نظرية متينة، تساعد على صياغة أسئلة بحثية دقيقة وفرضيات قابلة للاختبار.
- اختيار النصوص بعناية، وتطوير شبكة تحليلية لفهم المحتوى، وتلخيص الأفكار الرئيسية بطريقة نقدية، هي مهارات جوهرية تميز الباحث الناجح. القراءة ليست فقط مرحلة استكشافية، بل هي عملية مستمرة طوال مراحل البحث، تغذي التفكير وتوجه المسار البحثي نحو نتائج أكثر دقة وعمقًا.

- ▶ -Luc Van Campenhoudt Raymond Quivy Avec la collaboration de Jacques Marquet .Manuel de recherche en sciences sociales, 4e édition entièrement revue et augmentée Dunod, Paris, 2011